صدقة ورجلان..

- **الرجل ذو العباءة الحمراء...**
- **أجازه إجبارية لعزيز المصري.**
- **لواءات يخونون جيش مصر.**
- **اذهب إلي هناك وأقطع تذكرة..**
- **اتهام عزيز المصري بمحاولة قتل نازلي..**
- **فاروق ينام في لندن بملابس السهرة!**

www.anwarsadat.org

الزمـــن: ليلة مولد الرسول من عام 1940

والمكان: سلاح الإشارة في المعادي

وكنت إذ ذاك ضابطا برتبة ملازم في هذا السلاح..

ومولد الرسول في مصر، موسم من مواسمها، يعرف الأطفال فيه عرائس الحلوى، والأحصنة الصغيرة الملونة يركبها فرسان العرب..وتعرف فيه البيوت والدواوين والمجالس النيابية ودوائر السياسة وقصور الأغنياء، الحلوى الحمصية والسمسمية.. ثم.. لا شئ بعد ذلك..!

وعلي هذا الوجه مرت بمصر هذه الليلة، كما مرت بها دائما ولكنها لم تمر بي كذلك، فقد كانت، من حيث لا أدري ليلة البدء لأحداث كثيرة متتابعة سمع المصريون أطرافا منها، بعضها خافتا كالهمس، وبعضها مدويا.. كالقنابل والمتفجرات!

كنا جلوسا في إحدى غرف السلاح، نتناول العشاء ونتكلم...وكان جنود هذا السلاح، واغلبهم بطبيعة عملهم في سلاح الإشارة فنيون متطوعون قد اعتادوا مني كثيرا أن احاضرهم واعتادوا مني دائما أن أتناول طعامي معهم، وأن أحدثهم بصراحة وأن يحدثوني بمثلها.

كنا في أثناء استراحتنا وطعامنا، أخوانا مصريين لا ضابطا وجنودا.. ودخل علينا ونحن جلوس للعشاء في ليلة مولد النبي جندي من جنود السلاح الفنيين، لم يكن موجودا بيننا منذ بدء هذه الجلسة، وقدم إلينا صديقا له يلتحف بعباءة حمراء لا تكاد تظهر منه شيئا كثيرا..

لم أكن أعرف هذا الرجل إلي ذلك اليوم، ولم يثر دخوله ولا ملبسة اهتمامى، ولم يلفا نظري.. وكل ما هناك أني صافحته ورحبت به، ودعونه إلي تناول العشاء معنا، فجلس وتناول العشاء..

وفرغنا من الطعام، ولم اعرف عن الضيف شيئا آلا بشاشة في وجهه ورقة في حديثه وتواضعا في مظهره.

ولكني عرفت بعد ذلك عنه شيئا كثيرا...

فقد بدأ الرجل بعد العشاء حديثا طويلا عن ذكري مولد الرسول .. كان هو اللقاء الحقيقي الأول بيني وبين هذه الذكري..

كان في سمات هذا الرجل، كثير مما يتسم به رجال الدين:

عباءة، ولحيته، وتناوله شيئاً من الدين بالحديث...

فليس حديثه هو وعظ المتدينين.

ليس الكلام المرتب، ولا العبارات المنمقة، ولا الحشو الكثير ولا الاستشهاد المطروق،ولا التزمت في الفكرة، ولا إدعاء العمق، ولا ضحالة الهدف، ولا إحالة إلي التواريخ والسير والأخبار.

المرحوم حسن البنا

كان حديثه شيئا جديدا...

كان حديث رجل يدجل إلي موضوعه من زاويا بسيطة ويتجه إلي هدفه من طريق واضح... ويصل أليه بسهولة أخاذة... وكان هذا الرجل هو المرحوم الشيخ حسن البنا مرشد الأخوان المسلمين...

وانتحي الرجل بي ناحية، وتجاذب معي حديثا قصيرا أنهاه بدعوتي إلي زيارته في دار جمعية الأخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء...

كانت الجمعية إذ ذاك لا تزال في دارها القديمة التي تشغلها الآن شعبة الجوالة التابعة لها...

وذهبت يوم الثلاثاء.

لم أكد أضع قدمي في مدخل الدار، حتى شعرت بكثير من الرهبة، وكثير من الغموض...

دخلت من حجرة كبيرة جدا، من هذه الحجرات التي عرفت بها الأبنية المصرية القديمة...

وقطعت هذه الحجرة بأكملها لانفد من باب صغير...

ونفذت من هذا الباب، لألقي أمامي شيئا كالحجرة، أو شيئا كالممر الطويل بين حجرات..

وانما كان مكتبة..

كان صفوفا طويلة من الأرفف المتقاربة الملتصقة بالحوائط، وقد صفت عليها مئات كثيرة من الكتب ملأت جو المكان برائحة الورق المخزون...

وعلي بعد كبير في آخر هذا الممر.. كانت هناك عينان فقط ترسلان بريقا قويا، هما كل ما يظهر من الرجل الجالس خلف مكتبه.. مرشد الأخوان.

وتحدثت مع الرجل طويلا في ذلك اليوم...

ولكنه لم يفتح لي كل نفسه...

تحدث معي كثيرا.. ولكنه لم يخرج عن دائرة الدين أبدا.

وحصر نفسه في هذه الدائرة، ولكنه جعل يتسع بمحيطها شيئا فشيئا حتى أصبحت أفقا كبيرا مليئا بالمعاني...

ورغم كل المحاولات التي بذلتها فقد فشلت...

ورغم كل ما تطرق إليه الحديث من شئون الجيش، فقد ظل الرجل ملتزما ناحية الدين، وإهمال الناس له ورسالة الأيمان التي يجب أن يرتكز عليها جهادنا، ووجوب نشر هذه الرسالة في صفوف الجيش.

وتكررت زياراتي بعد ذلك للرجل.

وبدأنا نتحدث في كثير من الشئون العامة.. وبدأت أوقن الرجل يطوي صدره فعلا علي مشاريع كبيرة وخطيرة.. لا يريد أن يفصح عنها .. كما أيقن الرجل أيضا أني لا أنتوى الانضمام إلي جمعيته، ولعله شعر أو أدرك أني أعمل شيئا, وأني لست أعمله وحدي...

ولم يرد الرجل أن يعرض علي الانضمام إلي جمعيته، كما أنه لم يحاول آن يسألني عن أي صلة إي بآخرين.. ولكني فهمت أنه كان يدرك أشياء كثيرة من الحقيقة في مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام..

وفي يوم تقابلت معه، وكنت ثائرا مكتئبا تملاني المرارة والألم...

فقد صدرت الأوامر في ذلك اليوم بإعطاء الفريق عزيز المصري أجازه إجبارية من رياسة أركان حرب الجيش.

وكان معلوما لنا أن وراء هذه الفعلة أيدي الإنجليز.. وكان مجرد العلم بهذا كافيا لإثارة نفوسنا.. ودفعنا إلي أي عمل قد يراه الكثيرون، في مثل ظروفنا– من أعمال الجنون.

فقد كنا نعرف ما أراد عزيز المصري لجيش مصر من قوة ومتعة

وكنا قد بدأنا نتعيش بالنهضة الفعلية التي بعثها الرجل في الجيش.

وكنا نسمع كثيرا من القصص التي تروي عن محاولات عزيز المصري الإصلاحية، والمشاكل والعقبات التي توضع أمامه، والأحابيل والشراك التي تنصب له. والتي عرفت بعد ذلك للآسف الشديد أن الذي كان ينصبها له هم كبار ضباط الجيش المصري نفسه .

وكنا قد تحققنا من الشرك الأخير، شرك الخيانة الحقيقية تقع من ضباط كبار...

فقد جمع الفريق عزيز المصري لواءات الجيش ليسألهم عن مدي حاجتهم في أسلحتهم إلي جهود البعثة الإنجليزية ، ومدي–ما حققته هذه البعثة فعلا من الإصلاح...

وكان الجيش كله، ما عدا هذه الفئة يتمني اليوم الذي تزول فيه وصمة البعثة الإنجليزية من وحداته واسلحته.

وتكلم عزيز المصري مع الضباط الكبار كلام مصري لمصريين وكلام قائد لضباطه...

ولكنهم خرجوا من هذا الاجتماع لا ليفكروا ولا ليبحثوا ولا ليسكتوا ولكن لكي يذهبوا إلي السادة الإنجليز ويقصوا عليهم حديث قائدهم... وعادوا إليه فرادي...

عاد كل منهم. وطلب مقابلته لكي ينهش في لحم الآخرين.

ولعل كلا منهم كان يرمي من وراء ذلك إلي الظهور أمام الرجل بمظهر الوطني، نفيا للشبهة عن نفسه، وإلصاقا بها في الآخرين، وإذا حدث أن وقعت الواقعة وعلم الرجل حديث الخيانة...

ولكن عزيز المصري، فهم كل شئ، وأدرك أنه بين جماعة من اللواءات لا يفضل واحد منهم أخاه ألا في خسة النفس وبطلان الضمير...

ولم تكن خيانة اللواءات هي كل ما أحاط بعزيز المصري من الشراك.. فقد كان الإنجليز أحرص من ألا يرصدوا عليه كل حركة من حركاته فاستطاعوا بأساليبهم المختلفة أن يملأوا وظائف مكتبه بجماعة من الضباط الشبان الحاصلين علي شهادات دراسية عليا، والحاصلين علي شهادة إنجليزية فذة في نوعها هي شهادة التخصص في أعمال التجسس للإنجليز[1].

كل هذا كنا قد بدأنا نسمع عنه.

وكل هذا قد تحققنا منه بعد ذلك.

وجاءت الإجازة الإجبارية لعزيز المصري كنا قوس كبير يدوي في آذاننا لكي نبدأ العمل...

***

وطال الحديث عن عزيز المصري، ولاح مني شدة اهتمامى بهذا الموضوع،أبديت رغبة شديدة في ضرورة لفاء هذا الرجل الذي كان موقفه محرر تفكيرنا..

وهنا شعرت بأن المقابلة قد آذنت علي الانتهاء، حين قدم إلي المرحوم حسن البنا وريقة..

---

[1] نؤكد أن سليمان محمود الذي شغل في وقت من الأوقات منصب مدير مكتب عزيز المصرى، لم يكن مطلقا ممن بين شملتهم هذه الإشارة .

وأخذت الوريقة إقراؤها بشغف شديد.. بينما قال لي حسن البنا، والابتسامة علي شفتيه:

- واقطع تذكرة عند الدخول كما يفعل الداخلون.

وخرجت من دار الأخوات المسلمين... أخطو خطواتي الأولي إلي مستقبل.. مجهول...

www.anwarsadat.org